إشكالية الأمن الفكري في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

م.د. علي غانم حامد الطائي

جامعة الموصل-كلية العلوم السياسية

dr.alighanimhamid@uomosul.edu.iq

https://doi.org/10.61884/hjs.v14i56.664

ملخص :

يُعَدّ الأمن الفكري أحد أهم المفاهيم التي برزت بقوة في الفكر الإسلامي المعاصر، نظراً لصلته المباشرة باستقرار المجتمعات وصيانة هويتها الحضارية والدينية، وقد برزت الحاجة إلى تعميق دراسة هذا المفهوم في ظل التحديات الفكرية والثقافية والإعلامية التي تواجه الأمة الإسلامية، والتي أدت إلى بروز العديد من الإشكاليات مثل: التهديد الفكري ، والانحراف في التفكير.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري، الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، الانحراف الفكري والديني.

The Problematic of Intellectual Security in Contemporary Islamic Political Thought

Ali Ghanim Hamid Al-Taie

dr.alighanimhamid@uomosul.edu.iq

ABSTRACT :

Intellectual security is considered one of the most significant concepts that has strongly emerged in contemporary Islamic thought، due to its direct connection with the stability of societies and the preservation of their civilizational and religious identity. The need to deepen the study of this concept has become more urgent in light of the intellectual، cultural، and

media challenges facing the Islamic nation، which have given rise to several critical issues such as intellectual and religious deviation، the spread of misconceptions about Islam.

KEYWORDS: Intellectual Security، Contemporary Islamic Political Thought، Intellectual .

المقدمة

يُعَدّ الأمن الفكري من أبرز القضايا المعاصرة التي استحوذت على اهتمام المفكرين والباحثين في العالم الإسلامي، لما له من أثر مباشر في استقرار المجتمعات والحفاظ على هويتها الدينية والثقافية، فالعقل البشري هو محور البناء الحضاري، ومنه تنطلق الأفكار والقيم والسلوكيات التي تشكّل ملامح الأمم وتحدد مساراتها، وإذا تعرّض هذا العقل للتشويش أو الانحراف أو الغزو الفكري، انعكس ذلك سلبًا على المجتمع بأسره، وهدّد وحدته واستقراره وأمنه ؛ لذلك أصبح الحديث عن الأمن الفكري ضرورة ملحّة في ظل التحولات العالمية المتسارعة، والانفتاح الإعلامي والثقافي غير المسبوق، ولقد برز مفهوم الأمن الفكري حديثًا بوصفه مصطلحاً مستقلاً في الدراسات السياسية والفكرية والأمنية، لكنه متجذّر في أصول الشريعة الإسلامية التي أولت العقل مكانة رفيعة، وأكدت على ضرورة صيانته من الانحرافات الفكرية والعقدية .

هدف البحث:

نسعى من خلال هذا البحث إلى دراسة الأمن الفكري في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر دراسة شمولية، من خلال الكشف عن معناه وحدوده وبيان أهميته في حماية المجتمع والمحافظة على استقراره الفكري والقيمي، وإبراز الوسائل الكفيلة بتعزيزه وفق الثوابت الفكرية السليمة.

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية هذا البحث من تساؤل رئيسي ألا وهو: كيف يسهم الأمن الفكري في استقرار المجتمعات وحماية هويتها الدينية والثقافية في إطار الفكر السياسي الإسلامي؟

ومنه تتفرع عدة تساؤلات؛

- **ما هية وسائل تعزيز الأمن الفكري ؟**
- **ما هية التحديات والإشكاليات التي تواجه الأمن الفكري؟.**

فرضية البحث:

تتمثل الفرضية التي ينطلق منها هذا البحث لمعالجة إشكالية موضوعه من الآتي: إن الأمن الفكري ضرورة للحفاظ على قيم وثوابت الأمة الإسلامية في مواجهة مختلف التحديات.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لرصد المفاهيم والنصوص والأفكار المتعلقة بالأمن الفكري، إلى جانب المنهج المقارن لمناقشة التحديات المعاصرة كالعولمة والانحرافات الفكرية وتأثير الإعلام الجديد، مع مراعاة خصوصية الواقع الإسلامي المعاصر.

محتويات البحث: سنتكلم في هذا البحث عن أربعة محاور:

المحور الأول/ الإطار المفاهيمي للأمن الفكري.

المحور الثاني/ وسائل تعزيز الأمن الفكري.

المحور الثالث/ الإشكاليات والتحديات التي تواجه الأمن الفكري.

اولاً: الإطار المفاهيمي للأمن الفكري

١- تعريف الأمن الفكري:

الأمن الفكري مركب من لفظين: هما الأمن، والفكر؛

أما الأمن في اللغة، فهو مصدر معناه: الطمأنينة وعدم الخوف، يقال: أمن أمنا وأمانا، وهما مصدران بمعنى واحد، ومنه الحديث: «وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ»[١]، أي الأمن، يريد أن الأرض تمتلئ بالأمن فلا يخاف أحد من الناس والحيوان، ورَجُلٌ أُمَنَةٌ: يأْمَنُهُ كلُّ أَحَدٍ في كلِّ شيءٍ، والأمانة ضد الخيانة، والمؤذن مؤتمن القوم: أي من يثقون إليه ويتخذونه أمينا حافظا، وقال المناوي: «الأمن: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف وأمن بالكسر أمانة فهو أمين ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازا فقيل للوديعة أمانة ونحو ذلك»[٢].

الأمن إصطلاحاً: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[٣].

أو مجموعة الإجراءات التربوية، والوقائية، والعقابية، التي تتخذها السلطة لصيانته، واستتبابه داخلياً وخارجياً، إنطلاقاً من المبادئ التي تدين بها الأمة، ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المقيدة[٤].

وأما الفكر بالكسر: فهو في اللغة: مشتق من فكر، وهو اسم جنس يطلق على الأفكار الحاصلة من وظيفة التفكير والتعقل، التي أودعها الله في قلوب الناس، وقيل معناه: إعمال النظر، أو إعمال الخاطر في الشيء، وكذلك النظر والرؤية، يقال: لي في الأمر فكر: أي نظر ورؤية، وما لي في الأمر فكر، أي ما لي فيه حاجة ولا مبالاة، وقد فكر في الشيء، وأفكر فيه وتفكر

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٣٩٨/١٥)، رقم (٩٦٣٢). قال ابن حجر: إسناده صحيح. ينظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (٤٩٣/٦).

(٢) ينظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم، النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، (٧١/١)، وينظر ايضاً: ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ)، (٢١/١٣)، وينظر ايضاً: الزبيدي، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (القاهرة: دار الهداية)، تحقيق مجموعة من المحققين، (١٦٦/٢٥).

(٣) ينظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، (بيروت / دمشق: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، ١٤١٠هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص٩٤، وينظر ايضاً: قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، ١٤٢٤هـ)، المحقق: يحيى حسن مراد، ص٦٨.

(٤) ينظر: مفلح الأكلبي ومحمد أحمد، استراتيجية تدريسية مقترحة لغرس قيم الأمن الفكري لدى الطلاب لتحصينهم ضد التطرف والإرهاب، (السعودية: مجلة البحوث الأمنية)، ص١٩.

بمعنى واحد، ورجل فكير: كثير الفكر، والتفكر التأمل[١].

والفكر إصطلاحا: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، وترتيب أمور في الذهن، يتوصل بها إلى معرفة حقيقية أو ظنية[٢].

تعريف الأمن الفكري:

سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون[٣] بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة»[٤].

الأمن هو من الأمور الفطرية، التى يحتاج إليها كل مخلوق في الكون

أو الحماية للعقول من الأفكار الشائبة، والمعتقدات الخطأ التي تتعارض مع العقيدة التي يؤمن ويدين بها المجتمع، وتكافل كل مؤسسات المجتمع لبذل الجهود لتحقيق هذا النوع من الحماية[٥].

وبالنظر في هذه التعريفات نجد أنها تشترك جميعها في أنها تهدف لحماية فكر الفرد من الانحراف، نحو الأفكار الشائبة والمعتقدات الخاطئة، للحفاظ على المجتمع وطمأنينته، كما تركز على إعداد الفرد إعداداً شاملاً ومعتدلاً وفق ما جاء في الكتاب والسنة في شتى المجلات الدينية والفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

٢- أهمية الأمن الفكري:

إذا أردنا الحديث عن أهمية الأمن الفكري، فإنه يستلزم ذلك الحديث عن الأمن بصفة

---

(١) ينظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي (٧/٧)، وينظر ايضاً: ابن منظور، لسان العرب (٦٥/٥) الزبيدي، تاج العروس (٣٤٥/١٣)، وينظر ايضاً: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط (مصر: دار الدعوة) تحقيق: مجمع اللغة العربية (٦٩٨/٢).

(٢) ينظر: علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، التعريفات، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص ١٦٨، وينظر ايضاً: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط (٦٩٨/٢).

(٣) ينظر: الوادعي، سعيد مسفر: الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة، عدد ١٨٧، (الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ١٩٩٧م)، ص٥.

(٤) إبراهيم بن محمد على الفقي، الأمن الفكري: المفهوم – التطورات- الإشكالات، بحث مقدم للمؤتمر الوطنى الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتحديات» في الفترة من ٢٢: ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز للدراسات، الأمن الفكرى بجامعة الملك سعود، ص٩.

(٥) نجاح بني عطا اليمن، أثر برنامج تعليمي قائم على استراتيجيات الحوار والمناقشة في تنمية مفاهيم الأمن الفكري: مجلة الدراسات الاجتماعية، ٢(١)، ص٦٣.

عامة، فالأمن الفكري نوع من أنواعه، والحديث عن الأمن على العموم هو حديث عن أمر ضروري أجمع الجميع على أهميته، فلا تكاد تجد اختلافاً بين الناس مع اختلاف درجاتهم ومستوياتهم على ضرورة الأمن من أجل استقرار الحياة، والتطلع إلى ما هو أفضل، بل تعدى الأمر ذلك، إذ الأمن هو من الأمور الفطرية، التى يحتاج إليها كل مخلوق في الكون، وهو القاعدة الأساسية التى تبنى عليها الحياة البشرية، وتظهر أهمية الأمن جلياً إذا عرفنا أن الأمن ينتج عنه المحافظة على الضرورات الخمس، وهي مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وزاد البعض العرض، قال نور الدين الخادمي: «المقاصد الضرورية: وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدارين، وهي الكليات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والتي ثبتت بالاستقراء والتنصيص في كل أمة وملة، وفي كل زمان ومكان»[١].

وقال الشاطبي: «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة»[٢]، فإذا حفظت هذه الضروريات فقد تحقق أغلى الأهداف، وأعظم الغايات، التى يتمناها الإنسان في الحياة الدنيا.

من فضل الله تعالى ورحمته بالإنسان ربط الأمن بالإيمان، فهما مرتبطان متلازمان تلازما ضروريا، فلا أمن من غير تطبيق الشريعة الإسلامية، ولا يتحقق كمال الإسلام، والعمل بشعائره، إلا بالأمن، ولا تقوم مصالح العباد إلا بالأمن، فالأمن هو روح الحياة، ولذلك نجد أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا بأن يجعل الله البيت الحرام آمنا، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[٣].

وتظهر أهميته من خلال دعوة مباركة بدأ فيها إبراهيم عليه السلام بدعائه بالأمن، ثم أتبع ذلك الدعاء بالرزق، وهذا يبين أهمية الأمن، قال الزحيلي في تفسير الآية: «ذكرّ الله تعالى العرب في هذه الآيات بنعم كثيرة، منها: جعل البيت الحرام مرجعا للناس يقصدونه، ومآبا يثوبون إليه للعبادة وقت الحج وغيره، وفي ذلك تنشيط لحركة التجارة والاقتصاد وجلب الخير، ومنها جعله مأمنا يطمئن إليه الأفراد من المخاوف، فمن دخله كان آمنا»[٤].

---

(١) نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط١، (المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)، ص٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٣) البقرة: ١٢٦.

(٤) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ)، (١/٣٠٤).

كما أن الأمن من أهم الأسس التى تقوم عليه حياة الفرد والمجتمعات، إذ به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم، ومن طبائع المجتمعات البشرية حدوث الاختلاف بينهم،

قال الماوردي: «وأما القاعدة الرابعة: فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش; لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم»[1].

أن الأمن من أهم الأسس التى تقوم عليه حياة الفرد والمجتمعات، إذ به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم

وكما تحدث القرآن عن الأمن في عدة آيات، تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فقال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[2].

فمن أمن على نفسه وأهله وعياله، وفي مسلكه وطريقه، كأنه ملك الدنيا كلها، وقد رتب الحاجات: فوضع الصحة أولاً، ثم وضع الأمن ثانياً، والطعام والشراب ثالثاً، وهذه هي الحاجات الأساسية لحياة الفرد والمجتمع، وما ذلك إلا لأهمية الأمن في حياة كل مخلوق، فضلا عن الإنسان الذي هو أكثر المخلوقات إحساسا بقيمة الأمن[3].

ويتضح من خلال ذلك أن الأمن على عمومه من ضروريات الحياة، وهدف غال لكل مجتمع، إذ هو سبب استقراره وسعادته، ومصدر أمنه واطمئنانه.

ومن أعظم أنواع الأمن: الأمن الفكري،ولا غنى عنه لكل فرد ومجتمع، فلا يتحقق الأمن الشامل إلا بالحصول على الأمن الفكري ، فهو ثمرة تمسك الأمة بعقيدتها الإسلامية، ومحافظتها على مصادر تشريعها وأخلاقها ، ويعد الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة التي أخذت حيزاً

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أدب الدنيا والدين، (القاهرة: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م)، ص١٤٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، (٥٧٤/٤)، رقم (٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب القناعة، (٢٥٣/٢)، (٤١٤١). قال الألباني: حديث حسن. وينظر ايضاً: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (بيروت: المكتب الإسلامي)، (١٠٤٤/٢).

(٣) الملا الهروي، علي بن سلطان، أبو الحسن نور الدين، ط١، (لبنان: بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، (٣٢٥٠/٨)، وينظر ايضاً: بيلي إبراهيم العلمي، بحث العمالة الوافدة والمسألة الأمنية إلى ندوة التنمية الشاملة وعلاقتها بالأمن، (الرياض: أكاديمية نايف العربية ، ١٤٠٨هـ)، ص٤١.

متتابعاً من البحث والتمحيص نظراً لأهميته القصوى على مستوى الفرد والمجتمع ككل، فهو يمثل مصدر السلامة من كل العوامل الخارجية، التى يمكنها أن تؤثر سلبا على مستوى تفكير الفرد ومعتقداته، وثوابته، فقد بدأ يأخذ مرتبة متقدمة في أعقاب التطور الكبير الذي شهده العالم، وتطور وسائل الاتصال والمعلومات، وسهولة انتقال الثقافات وتأثر بعضها ببعض، وما نتج عن ذلك من غزو فكري وثقافي، إضافة إلى ظهور التطرف الفكري بكل أشكاله وما نتج عنه من سلوكيات إرهابية، تتدرج في خطرها، حتى تصل إلى درجة الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم، فالأمن الفكري مرتبط بالعقل الذي يعد مناط التكليف، حيث به حمل الإنسان الأمانة، ويعود الفرد صالحاً أو العكس، ويتحقق الأمن الوطني والإقليمي والدولي، ولن ينجح العقل في التمييز إلا إذا كان سليماً من أي صورة من صور الانحراف والخلل والزيغ، لذا قد بات لزاماً تحصين المجتمعات العربية والإسلامية بقاعدة عظيمة للأمن الفكري[١].

وكذلك يعد الأمن الفكري في الإسلام من الضرورات الدينية التي جاء بها الإسلام، ومطلب يسعى المسلم و الدولة الإسلامية إلى تحقيقه، فقد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَـذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾[٣] فللشريعة الإسلامية دور كبير في تعزيز الأمن الفكري، وذلك من خلال ما جاءت به الشريعة من المحافظة على الضروريات الخمس، وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وتعد المحافظة على العقل من أهم هذه الضروريات[٤]، وهو حماية للأفراد والمجتمعات من الفوضى الفكرية غير المضبوطة والمستندة إلى عقيده دينية سليمة، ويحقق الأمن الأخلاقي، فكلما كان الفكر سليماً، تمثل صاحبه بالأخلاق وتخلى عن الرذائل، واحترم الآخر، فأهمية الأمن الفكري تنبع من أهمية العقل، فالعقل هو الذي يقوم بتوجيه سلوك الإنسان، ومن خلاله يستطيع اتخاذ ما يراه مناسباً من قرارات في هذه الحياة، سواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً[٥].

(١) عثمان خالد محمد الطاهات، تعزيز الأمن الفكري عند الشباب، (السعودية: جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، كلية التربية)، ص٢٤٠١.

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) التين: ٣.

(٤) إبراهيم بن محمد على الفقي، الأمن الفكري: المفهوم – التطورات- الإشكالات، ص١٧.

(٥) بن خليفة فاطيمة، الأمن الفكري ودور المدرسة في تعزيزه – دراسة تحليلية، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي غليزان، ص٢.

ثانياً: وسائل تعزيز الأمن الفكري

هناك وسائل متعددة من أجل تعزيز الأمن الفكري، ومن هذه الوسائل:

١ - **الأسـرة**: وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، والمؤسسة التربوية الأساسية لتعليم الطفل؛ فيحصل الطفل منها على المعلومات الصحيحة، وهي مصدر ثقافته الأولى، إذ يظهر دورها جلياً في تنشئة الطفل ورعايته، وحمايته من أي سلوك خاطيء، كما أنها مصدر إلهامه، وتوجيهه نحو الفكر السليم والسلوك القويم، وتعمل الأسرة فى المجتمع المسلم على تربية الأبناء وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية، المستمدة من القرآن، والأحاديث النبوية، فتغرس فى نفوس الأبناء الفكر السليم، لأنها تحثهم وترغبهم على طاعة الله تعالى، وامتثال أوامره، والتحلى بحسن الخلق، والتمسك بالقيم والمعايير التي تؤصل المجتمع المسلم، وتجعله صفا واحدا كالبنيان المرصوص، لأن الالتزام بالقيم والمعايير والاتجاهات الصحيحة إحدى وسائل ترابط المجتمع وتماسكه[١].

إن القيم الأخلاقية والتقاليد المجتمعية والعادات تمر بعملية تنقية من خلال الآباء والأمهات تجاه أولادهم، فهي تتخذ طريقها نحو الأبناء، وتشكل عقليتهم وتوجههم الديني والسياسي والاجتماعي

إن القيم الأخلاقية والتقاليد المجتمعية والعادات تمر بعملية تنقية من خلال الآباء والأمهات تجاه أولادهم، فهي تتخذ طريقها نحو الأبناء، وتشكل عقليتهم وتوجههم الديني والسياسي والاجتماعي، وعلى قدر التزام الأسرة بالقيم الحميدة، والأخلاق الإسلامية، يكون اتجاه الأبناء في الغالب، فهناك عوامل كثيرة تتدخل في إصباغ تعاملات الأبناء بالصبغة الإسلامية، والاخلاق الحسنة، منها: شخصية الوالدين، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، ويعد الآباء بمثابة مصفاة تنقي القيم قبل عبورها إلى الطفل، كما أنهم نماذج أمام الأطفال يقلدونها[٢].

إن مسؤولية الأسرة ناحية الأبناء مسؤولية متكاملة، لأن تنمية القيم والعادات الحسنة لا يأتي وحده، بل في سياق إشباع الحاجات التى يحتاجها الطفل، عقلية وخلقية ونفسية وعقدية، وغيرها، ومعنى إشباع هذه الحاجات الاهتمام الشامل بتنمية هذه الجوانب على أساس إسلامي، وتشير السنة إلى ذلك، حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ[٣]، هَلْ تُحِسُّونَ

---

(١) فاطمة علي جمعة، الأم والتربية الأسرية، ط١، (الرياض: دار الرشد، ٢٠٠١م)، ص٣٦.

(٢) زكريا الشربيني، ويسرية صادق، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، (بيروت: دار الفكر العربي)، ص٩٢.

(٣) جَمْعَاء: أَيْ سَلِيمَة مِنَ الْعُيُوبِ، مُجْتَمِعَةُ الأَعْضَاء كاملَتها فَلَا جَدْعَ بِهَا وَلاَ كَيّ. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٦/١).

فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟[1]، ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ [الروم:٣٠]»[2].

فحاجات الطفل المتعددة وإشباعها هي الأساس في تنمية القيم لديه، فالحاجات الجسمية، توفرها الأسرة، من أكل وشرب وملبس ومسكن وعناية بالجوانب الصحية وغير ذلك، وعن طريقها يتعلم الطفل الضبط وغير ذلك، فهي المدخل الأساسي لتكوين نواة الالتزام، وكذا الحاجات العقلية والخلقية، ويحتاج الطفل إلى مجموعة حاجات أخرى تؤهله لاكتساب القيم، كالحاجة إلى الأمن، والتقدير الاجتماعي، والحب، كما أنه يحتاج إلى إشباع حاجته و التحصيل والنجاح و تعلم المعايير السلوكية، و السلطة الضابطة المرشدة، وغير ذلك من حاجات[3].

ويمكن أن نجمل دور الأسرة في تنمية القيم الخلقية والعقلية في إطار رعايتها للنمو المتكامل لشخصية الطفل فيما يلي:

أ- مساعدة الطفل على تأكيد الإيمان بالله- عز وجل-، بكافة الطرق المناسبة، بالكلمة الطيبة، والسلوك القويم، بالقصة الهادفة الملتزمة، بالترغيب في العبادات وقراءة القرآن، وغير ذلك من أسباب ووسائل تحقق الأهداف الإسلامية، وتغرس عقيدة التوحيد في نفس الناشىء.

ب- مساعدة الطفل على تمثل القيم والحقائق والمبادىء الإسلامية، وإمداده بالخبرات الاجتماعية المثيرة له، والتي تضيف إلى خبرته قيما وحقائق جديدة في إطار إسلامي، مع التبسيط المناسب المعبر عن حاجات الطفل ومشكلاته.

ج- مساعدة الطفل على توضيح وترجمة قيمه واتجاهاته ومشاعره وآرائه التي تمثلها، وكذا مشكلاته الخاصة، وتوجيهه لحلها في إطار إسلامي صحيح.

د- تهيئة المناخ المناسب المساعد على اكتساب القيم: عن طريق صلاح الأسرة وصلاح الأبناء، وتهيئة المجال للطفل للاقتراح والتخطيط المناسب، ومزاولة الأنشطة التي

(١) جدعاء: الجدع: قطع الأنف، والأذن، والشفة، وهو بالأنف أخص، فإذا أطلق غلب عليه، يقال: رجل أجدع ومجدوع، إذا كان مقطوع الأنف. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٦/١).

(٢) متفق عليه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (٩٤/٢)، رقم (١٣٥٨)، وينظر ايضاً: مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٧/٤)، رقم (٢٦٥٨).

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، أصول تربية الطفل في الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، (مصر: جامعة طنطا، كلية التربية، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م)، ص ١١٩- ١٢٤، وينظر ايضاً: صالح بن عبد الله بن حميد، وآخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، ط٤، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع)، (١٦٥/١).

تبدو هامة بالنسبة له.

هـ- تعويد الطفل على الآداب الاجتماعية الإسلامية، والأخلاق الإسلامية بالممارسة العملية، وليس عن طريق الكلام النظري، وإلقاء الأوامر ليقتنع بها اقتناعا كاملاً[١].

٢ - المدرسة

تعد المدرسة هي الوسيلة التى أنشأها المجتمع بجانب الأسرة، من أجل نقل الحضارة ونشر الثقافة، وتوجيه الأبناء ناحية القيم الاجتماعية الصحيحة، حتى يكتسبوا العادات الفكرية، والاجتماعية والثقافية، التي تساعدهم على التكيف الصحيح، والتطور في المجتمع، وهي بمثابة البيت الثانى للأبناء، فمنها يكتسب الخبرات والمهارات الحياتية المختلفة، إذ يقضي الأبناء فيها وقت كبير من يومهم، ويعد المعلم في المدرسة بمثابة الوالد للطلاب، يثقفهم ويوجههم للخير، ويطور أفكارهم، وحبهم في الدين والوطن، ويغرس في نفوسهم الأفكار المثلى التي ترفع شأنهم فى حياتهم، وهو بذلك يلعب دوراً مهماً فى حياتهم، خاصة في الأمن الفكري، كما أن حصول الأمن الفكري لهذا السن وهذه المرحلة يجني نتائجه المجتمع كله، فطلاب هذه المرحلة إذا وُجِّهوا التوجيه الصحيح، نشأوا نشأة سليمة تَقي المجتمع من أمراض فكرية قد تؤدي إلى الهلاك والضياع، ومن الأمور بالغة الأهمية للمجتمع تحقيق الأمن الفكري لدى هذه الفئة من الأبناء، فهم يمثلون شباب المستقبل وقادته، كما أن ما يحيط بالبلاد من تحديات ومخاطر فكرية قد يُفضي إلى هلاك الفرد والمجتمع، والتربية السليمة في هذا السن هي التربية الإسلامية القائمة على العلم ، فما من نص في القرآن أو السنة إلا وله دلالة تربوية صريحة ، أو ضمنية، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٢]

ومن أجل ذلك فإن من الواجب أن يتم تضمين مكونات الأمن الفكري داخل نشاط المناهج الدراسية، مع حتمية تنفيذها بصورة مباشرة، ويترتب على ذلك غرس الانتماء للدين فى النفوس، وحماية الأفراد داخل المجتمع[٣].

وبناءً على ذلك يجب على المدرسة أن تغرس وتعزز علاقة الطلاب بأرضهم ووطنهم عن طريق برامج تقدمها لأبنائها ونشاطات مختلفة تقوم بها؛ لتعزيز قيم المواطنة والانتماء فى نفوس الطلبة ووجدانهم، فالانتماء للوطن واجب قومي على كل فرد من أفراده، وهو قيمة

(١) صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (١٦٦/١).

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) زكريا الشربينى، ويسرية صادق، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، ص٩٣.

سامية تعبر عن مدى تمسك الإنسان بوطنه، حتى يصل حب الإنسان لوطنه إلى درجة الفداء، وذلك من أجل الحياة الكريمة مما ينتج عنه المشاركة في بناء الوطن عن طريق القيام بالواجب المفروض عليه، وينبغى كذلك تضمين المناهج قيم المواطنة والتسامح، والتعايش السلمى، ومبادئ الوسطية والاعتدال، وتعريف الأفكار الضارة والدخيلة على المجتمع، وتنبيه الطلاب إلى هذه الأفكار، والعمل على تصحيح الفكر الضار والمخالف للدين[١].

أهمية المدرسة في تحقيق الأمن الفكري

بالنظر في الدور العظيم الذى تقوم به المدرسة، يتضح أن لها دوراً أساسياً وجوهرياً فى نشر الأمن الفكري، الذى يتفق مع مباديء الشريعة الإسلامية السمحة الموجودة في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الخلفاء الراشدين، والثابت من اجتهاد العلماء، فمن أجل ذلك يتطلب توفير المعلمين المعتدلين والناضجين فكرياً وسلوكياً وعقائدياً، كما يتطلب توفير المناهج الدراسية المتوافقة مع الأمن الفكري لدى الطلبة، مع إتاحة الفرصة للتعبير والاستفسار، وتوفير الإجابات الوافية فى إطار الوسطية من خلال التوفيق بين العلم والعبادة والدعوة والاجتهاد في كافة مناحي الحياة[٢].

٣- وسائل الإعلام

أصبحت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية من أهم المؤسسات ذات التأثير الكبير على عقول الناس، وأصبح لها دور عظيم فى نشر الثقافة فى المجتمعات، من خلال ما تقدمه من برامج متنوعة، دينية وثقافية واجتماعية، وغيرها.

وبما أن الثقافات قد تعددت، وكل منها له قيم وعادات، وبعضها يتنافى مع القيم الأخلاقية، مما يصعب معه السيطرة على الأمن الفكري، فإنه يجب توظيف الإعلام بصورة ذات تأثير على العقول، حتى يوضح للرأي العام الأفكار الصحية، ويحذر من الأفكار المتطرفة والمنحرفة، والإعلام كما يعرف بأنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وميولها، واتجاهاتها في نفس الوقت، فقد أصبحت مؤسسات الإعلام من أهم وسائل التأثير؛ لأنها وسيلة اجتماعية تقوم بنقل الثقافة وتجديدها، والتوجيه عن طريقها لتكوين رأي حول الموضوعات والأخبار المنقولة[٣].

ومن الملاحظ جلياً أن تأثير وسائل الإعلام على المجتمع وثقافته أصبح كبيراً، خاصة في الوقت الحاضر نظراً لكثرة وسائله؛ إذ أصبحت جزءاً من الحياة اليومية للناس، وعن طريقها تنقل الثقافات المختلفة، خاصة بعد ظهور الأنترنت الذي يسر الوصول لأي نوع من المعلومات

(١) عثمان خالد محمد الطاهات، تعزيز الأمن الفكري عند الشباب، ص٢٤٠٥-٢٤٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٤٠٦-٢٤٠٧.

(٣) أمل محمد أحمد نور، الأمن الفكري في الإسلام، رسالة ماجستير، ((مكة: جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٧ هـ)، ص١٣٣.

فى أي مكان على الكرة الأرضية، وقد أدى ذلك إلى تراجع الثقافات التقليدية أمام الثقافات الحديثة، كما تنقل وسائل الإعلام إلى الأفراد نماذج تتعارض مع ديننا وعقيدتنا، فتؤثر سلباً فى فكر الشباب، وتؤدي إلى انحرافٍ في أفكارهم، فيتخلون عن بعض ثوابتنا الدينية، فتدفع بهم إلى التطرف والغلو فى الدين، وفى هذه الحالة يكون الفرد بعيداً عن المنهج الصحيح الذي رسمه الإسلام، فينبغي مراقبة مثل هذه الموضوعات؛ للتخلص من البرامج السلبية التى تهدد الأمن الفكري لدى الشباب، وإعداد برامج تتوافق مع الثقافة الإسلامية، بهدف تثقيف الشباب، وكذلك العمل على إغلاق القنوات التي تنشر الفكر المنحرف، الذي يدعو إلى كل ما يخالف العقيدة السليمة، وتكرار البرامج التربوية الإسلامية، التى تقوم بدور التوجيه والتوعية للشباب وتنبههم إلى المشكلات التي يتعرضون لها، والعمل على حلها[١].

٤- المساجد

تعد المساجد من أهم المؤسسات التربوية التى تعمل على تهذيب الفكر وحمايته من الانحراف الفكري، فمن أهداف المسجد وآثاره ترسيخ العقيدة الدينية عن طريق غرس الخلق الحسن في نفوس أبنائه، من خلال الثقافة الدينية التي تظهر جلياً في وعي الإنسان وتدبره فى آيات القرآن الكريم، والتعاليم الدينية المتمثلة بالجانب الشرعي الذي يمثل جملة من المفاهيم والأحكام تتعلق بجوانب الحياة المختلفة، فضلاً عن حصول الإنسان المسلم على النصيحة الهادفة التي لها دور فى تقوية العقيده الدينية في المجتمع[٢].

ولا تقتصر أهمية المسجد على تأدية فرض من فرائض الإسلام، بل يتعدى ذلك إلى كونه يؤدي دوراً فكرياً ثقافياً، وذلك من خلال نشر الثقافة الإسلامية في المجتمع، التي بدورها تقوم بتهذيب الأخلاق لأفراد المجتمع، خاصة الصغار، وكذلك تحميهم من الانحراف الفكري، والميل إلى غير الصواب، وتقوم كذلك بتحصين الفرد من الانحراف، عن طريق ترسيخ العقيده، وصيانة الفكر، وتحتاج إلى أئمة ودعاة مدربين، قادرين على الحوار وإلقاء الخطب والمحاضرات، التي توضح للناس الطريق الصحيح، وتحذرهم عواقب الوقوع في الانحراف الفكري، وتضع برامج تثقيفية للتأكيد على صحة الأفكار، وملائمتها للعقيدة الصحيحة بعيدة عن الغلو والتطرف[٣].

وينبغي التنبيه على أن حماية الأمن الفكري لا يقتصر على فئة دون غيرها، وإنما يتولى حمايته الفرد والمجتمع على السواء، فكلاهما يتحمل هذه المسؤولية.

(١) المصدر السابق، ص١٣٣.

(٢) حسن دجاج، رسالة المسجد في الإسلام، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ١٩٩٤م، ص١١٠.

(٣) محمد الغزالي، خلق المسلم، (دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م)، ص١٣، وينظر ايضاً: أمل محمد أحمد نور، الأمن الفكري في الإسلام، ص١٤٥.

٥- الوسطية فى الإسلام

من الصفات التى وصف الله تعالى بها الإسلام: الوسطية، وهي الاعتدال والتوازن في كل شيء، فهي وسط بين الإفراط والتفريط، ومنه الاعتدال فى الفكر والأحكام والتطبيق، وذلك بهدف تحقيق السعادة للفرد والمجتمع، وهذه الوسطية قد امر الله تعالى بها، ونهى عن الغلو والتشدد والتنطع، الذى يؤدي إلى انحراف الفكر، بل واتجهت الشريعة الإسلامية انطلاقاً من الوسطية التي تلتزم بها نحو محاربة الفكر الذي يتجه نحو الغلو أو التطرف والاتجاه نحو السماحة واليسر كجانب وقائي، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١].

فجعلَ الله تعالى الوسطية من صفات أمة النبي صلى الله عليه واله وسلم، وهذا اصطفاء لهم، فقد جعلهم عدولاً خياراً، فهم خير الناس وأعدلهم، ومن أجل ذلك أمرهم بالوسطية، بمعنى أن يكونوا أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين[٢].

والوسطية تعني العدل والخيار وسائر أنواع الفضل، ويدل المفهوم على الاعتدال، وتشمل لفظة الخيار الأفضلية وكذلك العدل، وتدل أيضاً على استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف[٣].

فالبعد عن منهج الوسطيه فى الفكر والعقيدة والتعامل يؤدي إلى إنحراف فكري ويقود إلى الغلو والتطرف المنهي عنه، والمتأمل في الوسطية يتبين: أنها مطلب من المطالب التي يجب تحققها فى الفكر، حتى لا تطلق له حريته، فيجاوز الحد الذى له، ويصل بالإنسان إلى الانحراف فى إدراك الأمور حوله[٤].

إن ما نراه اليوم من الفرق المتطرفة، هو نتيجة للانحراف الفكري الذي أصاب كثيراً من الشباب، فنشأت فرق لا تعرف الكثير من مسائل العقيدة، فاتخذت من الدين قناعاً لها، وتبعهم الكثير من الشباب، فيجب تعزيز مبدأ الوسطية في الدين؛ لأنها تحقق الفكر المتوازن، المبني على العقيدة الصحيحة، والابتعاد عن الغلو والتطرف، فترسيخ مبدأ الوسطية في فكر الشباب يدفعهم إلى الثبات على الطريق المستقيم، والبعد عن جميع مظاهر الانحراف، فيحفظ للمجتمع أمنه وأمانه، فيعم الاستقرار والطمأنينة فى المجتمع[٥].

(١) البقرة، ١٤٣.

(٢) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ١٧٥/١.

(٣) مجموعة من العلماء، بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، ط٢، (المملكة العربية السعودية: وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥ هـ)، ص٤٣، وينظر ايضاً: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت)، ص١٢٧.

(٤) أمل محمد أحمد نور، الأمن الفكري في الإسلام، ص٩٧.

(٥) عثمان خالد محمد الطاهات، تعزيز الأمن الفكري عند الشباب، ص٢٤١٢.

ثالثاً: الإشكاليات والتحديات التي تواجه الأمن الفكري

هناك إشكاليات وتحديات كثيرة للأمن الفكرى، وتتمثل في:

ا- الانحراف الفكرى والديني

الانحراف هو الميل عن الشيء، والانحراف الفكري: خلل يطرأ على الغريزة المدركة للعلوم الضرورية والنظرية، والعمل بمقتضاها[1].

وهو خطأ في الإدراك والتصور، بحيث لا يري المرء الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وصاحبه يظن الصواب خطأ، والخطأ صواباً، ويرى الحسن قبيحًا والقبيح حسناً، وهذا النوع من الانحراف يؤثر في الاعتقادات والمفاهيم، ويغير ويبدل في أسس الدين ومبادئه، وقد سمى السلف الانحراف الفكري انحراف بدعة ناشئ عن شبهة، ويعد الانحراف الفكري أخطر أنواع الانحراف؛ لأن انحراف الأفكار والمبادئ يؤدي إلى انحراف السلوك والأخلاق، كما أن صاحبها من النادر أن يرجع إلى الحق؛ لأنه يرى أنه على حق، وهذا هو معنى عبارة السلف المشهورة «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها» ومعنى: إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب منه ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة، العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب، ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق»[2].

ترسيخ مبدأ الوسطية في فكر الشباب يدفعهم إلى الثبات على الطريق المستقيم، والبعد عن جميع مظاهر الانحراف، فيحفظ للمجتمع أمنه وأمانه، فيعم الاستقرار والطمأنينة فى المجتمع

ومن أهم أسباب الانحراف الفكري:

أ - **الغلو في الدين:** وهو ظاهرة مذمومة نهى الله تعالى عنها، فقال: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾[3]، فنهاهم الله تعالى أن يتجاوزوا الحقَ، فيتقولون

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٤١/٩)، سعود بن عبد العالي العتيبي، الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بهافي المملكة العربية السعودية، ص١٥٠.

(٢) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٩/١٠)، وينظر ايضاً: بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين، ط١، (المملكة العربية السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م)، ص٧٣.

(٣) النساء: ١١٧.

على الله الباطل، وهذا من الانحراف في العقائد[١]، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنطع والغلو والتشدد فى الفكر، فقال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»[٢].

والغلو فى الدين: هو التشديد فيه ومجاوزة الحد في العمل والبحث فى غوامض الأشياء وعن عيبها، وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال والفكر[٣]، والغلو في الدين أدى بأهل الكتاب إلى القول بتأليه عيسى عليه السلام، ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها[٤].

ب - ضعف الوازع الديني:

إن قوة المسلم الإيمانية تتمثل في الاعتصام بالكتب والسنة، بأن يمتثل المسلم لأمرهما، وينتهي عن نهيهما، فمن ليس لديه عصمة بالكتاب والسنة، ولا يعرف حسن الأمور من قبيحها، يكون عرضة للتيارات الفكرية المعادية، ويسهل التأثير عليه، وجره تبعا للأهواء والرغبات[٥].

ج -تقديم العقل على النقل الصحيح:

من أعظم الأسباب التى تؤدي إلى الانحراف الفكري، أن يتدخل العقل البشري فيما لا دخل له في إدراكه، وهذا منهج بعض الفرق التي تقدم العقل عن النص من القرآن والسنة، وهذا ينتج عنه الانحراف عن الحق، والانسياق خلف الباطل، يقول الإمام الشاطبي في ضرورة اتباع النقل وتقديمه على العقل: «إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية، فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعا، ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا

(١) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، ط١، (الإمارت: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، (١٨١٧/١٣).

(٢) سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب: التقاط الحصى (٢٦٨/٥)، رقم (٣٠٥٧)، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر، حصى الرمي (١٠٠٨/٢)، رقم (٣٠٢٩). قال ابن الملقن: قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين. ينظر ايضاً: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ) المحقق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، (٢٤/٢).

(٣) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، ط١، (الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م) المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد (٣٩٨/٤)، وينظر ايضاً: عبدالله الزهراني، الوسطية في التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه، (مكة: جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٠هـ)، ص١٣٥.

(٤) سعود بن عبد العالي العتيبي، الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، ص١٥٢.

(٥) المصدر السابق، ص ١٥٢.

بقدر ما يسرحه النقل»[1].

ولما كانت العقائد الإسلامية إنما تستند على القرآن والسُّنَّة السليمة من حيث المصدر ، واعتمادها عللى حجج لا تثبت فى ميزان النقد العقلي الصحيح.

٢- انتشار المفاهيم المغلوطة عن الإسلام

من التحديات والإشكاليات التي تواجه الأمن الفكري: انتشار المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، حيث يؤدي إلى التشويش على العقول، وإثارة الفتن، وانتشار التطرف والانحرافات الفكرية، فالأمن الفكري يعنى حماية العقول من الأفكار المنحرفة، سواء كانت تطرفاً دينياً، أو إلحاداً، أو تشدداً، أو انحلالاً أخلاقياً، وعندما تنتشر المفاهيم المغلوطة، فإنها تؤثر على الأمن الفكري فى اتجاهين:

أ -**التطرف والتشدد:** فبعض الشباب يقتنعون بتفسيرات خاطئة عن الإسلام، تبرر العنف والإرهاب، مما يؤدي إلى استغلالهم من قبل الجماعات المتطرفة.

ب -**الإلحاد والبعد عن الدين:** فنجد البعض الآخر يصدق الدعاية المغرضة، التي تشوه الإسلام، ويفقد الثقة بالدين، وينجرف نحو الإلحاد، أو الانحرافات الفكرية.

أسباب انتشار المفاهيم المغلوطة:

هناك عدة أسباب تؤدي إلى انتشار المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، منها:

١ . الإعلام المغرض والتضليل: فبعض وسائل الإعلام العالمية تنشر صورة مشوهة عن الإسلام، مركزة على الجماعات المتطرفة فقط، وكذلك استخدام الإعلام مصطلحات مثل الإرهاب الإسلامي، الذى يوهم ربط الإسلام بالإرهاب، وذلك يعزز الصورة السلبية عن الإسلام، في حين يتم تجنب ربط الإرهاب بأي ديانات أخرى.

٢ . الجهل وسوء الفهم: فقلة المعرفة الصحيحة بالإسلام تؤدي إلى تبني مفاهيم خاطئة عن الدين، وغياب التعليم الديني الصحيح يجعل الشباب عرضة للافكار المنحرفة.

ج -**استغلال الجماعات المتطرفة:** فبعض الجماعات المتشددة تستغل الجهل بالدين لنشر أيدلوجيتها، فتعمد إلى تحريف النصوص الدينية واستخدامها خارج سياقها لتبرير العنف.

ومن أهم المفاهيم المغلوطة التي يروج لها البعض، والتي انتشرت في الأزمنة القريبة، منها: ما يتعلق بالجهاد، ومنها يتعلق بالغلو في الدين، وترك الوسطية فيه، والرغبة في تجاوز الحدود،

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، ط١، (القاهرة: دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (١٢٥/١).

فى مقابل ما يفعله البعض من تجاوز للدين وأحكامه، بخرقها والتهاون بها، ومنها ما يتعلق بالعقائد التكفيرية، مثل تكفير أصحاب الكبائر، أو عدم العذر بالجهل في باب العقائد، ومنها ما يتعلق بأهل الكتاب، والتجاوز فى معاملتهم، والتهاون بأرواحهم وأموالهم[١].

وقد حرص الإسلام على تصحيح مفاهيم أبنائه، حتى تستقيم وتصح نظرتهم إلى الأمور، ويتحد تصورهم عن العادات والقيم، فلم يدعهم لانحرافات الهوى والفكر، فيزيغوا عن القصد، ويضلوا عن سواء الصراط ، ومن أجل ذلك فقد داوم القرآن والسنة على تصحيح المفاهيم المغلوطة، والأفكار الخاطئة، والتصورات المنحرفة، وينبغي على العلماء أن يصححوا هذه المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، ويردوا الشبهات والأباطيل، التي يثيرها خصومه، بأسلوب مقنع حكيم، بعيد عن المهاترة والسباب[٢].

د- الانحرافات العقائدية والفكرية والبدع، وهذه الانحرافات تؤدي إلى ظهور الأخطاء والأفكار الفكرية والسلوكية، والتي تؤثر سلبا على الأمن الفكري، ومن أمثلتها التعصب العرقي والغلو الديني، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ}[٣].

أي لا تفرطوا وتجاوزوا فى الأمر، فتتعدوا الحق، والغلو مصدر غلا فى الأمر: إذا جاوز حده المعروف، وهو الزيادة في عمل أو فكر عن المتعارف منه بحسب العقل، أو العادة أو الشرع، وقوله: غير الحق: أي غلوا غير الحق، وغير الحق هو الباطل، فيكون كل تجاوز عن الحق في العمل أو الاعتقاد أو الفكر باطلاً، والمراد أنه مخالف للحق المعروف، فهو مذموم لأن الحق محمود فغيره مذموم[٤].

(١) عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، (الرياض: مطبعة سفير)، ص٢٢٤.

(٢) عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١ م)، ص١٨٩.

(٣) المائدة: ٧٧.

(٤) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، (٢٩٠/٦).

التحديات الخارجية:

٣- العولمة الثقافية والغزو الفكري

شهد العالم في الفترة الأخيرة تطوراً كبيراً فى سائر وسائل الاتصالات والمواصلات، التي جعلت من كل العالم قرية كبيرة، ساهمت وبشكل فعال في انتشار الكثير من الأفكار والمعتقدات، مخترقة بذلك العديد من الحواجز اللغوية، والفكرية والنفسية، سواء للأفراد أو المجتمعات، مما جعل العالم يسير على رأي الأغلبية وفرض التغير بالقوة، مزيلة بذلك الفواصل بين الأمم، اذ هناك توجه لتكوين إنسان عالمي، ينتمي إلى ثقافة جديدة، لا يتشبث فيها بثقافته وهويته الوطنيه؛ بحيث يعيش حياة استسلام شبه كلي لثقافة الإعلام العالمى، وثقافة الاستهلاك[١].

والعولمة: هي نظام عالمي جديد يقوم على الإبداع العلمي والتقني، وثورة الاتصالات، إذ تزول الحواجز والحدود بين الأمم والشعوب والدول، ويمسى العالم وكأنه قرية صغيرة، وهي أيضاً تعني الدكتاتورية والتسلط القهري والفكري الذي ينادي بطمس الآخر وإنهاء ثقافته، لتبقى ثقافة واحدة، تفرض سيطرتها ونفوذها على العالم[٢]، والعولمة من أخطر التحديات التى تواجه الأمة العربية والإسلاميه في هذا القرن، فهي تهدف إلى طمس هويتنا، من خلال إحلال الثقافة الغربية محل ثقافتنا الإسلامية، فالعولمة بالمفهوم المعاصر هي الأمركة التي تغزو المجتمعات، بهدف القضاء على الإسلام، باعتباره أهم مقومات الحضارة والنهوض بثقافة الأمة، كما تهدف إلى الاستيلاء على اقتصاديات العالم عامة، والأمة الإسلامية خاصة، عن طريق حصار الإنتاج القومي للدول الفقيره والضعيفة، والقضاء على نظرية الاقتصاد الإسلامي[٣]، وتقوم كذلك بمحاربة المناهج التعليمية والتربوية في العالم العربي والإسلامي، ومحاولة تغييرها إلى نموذج يتناسب وطبيعة الفكر الثقافي الغربي، حتى يشب الأطفال على حب الثقافة الغربية، وضعف الثقافة الإسلامية، ولهذا نجد التاريخ الإسلامي، والوطن العربي يُدرَّس من كتب مغلوطة، وبهذا أصبحت المناهج التعليمية تفتقد الأصالة والشعبية والجماهيرية[٤].

وتهدف كذلك إلى محو النسيج الاجتماعي للشعوب، وتدمير الهويات القومية،

---

(١) الشهراني: معلوي بن عبد الله، أثر الحراك المعرفي على الأمن الفكري، ط١، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠١١م)، ص١٥٨، وينظر ايضاً: إبراهيم بن محمد على الفقي، الأمن الفكري: المفهوم .التطورات – الإشكالات، ص٢١، وما بعدها.

(٢) محمد سعيد أبو زعرور، العولمة، ط١، (عمان: دار البيان، ١٩٩٨م)، ص١٤.

(٣) فتحي يكن، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، ص٢٣.

(٤) محمد منير موسى، نظم التعليم العربية بين واقعها ومحاولة تطويرها، ط١، (قطر: مركز البحوث التربوية، ١٩٨٤م)، ص١٤٢.

٤- تأثير الإعلام الجديد ووسائل التواصل الاجتماعي

يؤثر الإعلام تأثيراً كبيراً في التوجه الفكري، خاصة وسائل الإعلام العالمية، وظهور شبكة الإنترنت، و رغم الإيجابيات الكثيره التي لا يمكن حصرها، فقد جعلت مصادر المعلومات غير متوقفة على الأسرة والمدرسه والمسجد، بل توسعت بشكل كبير مع التدفق التكنولوجي والمعلوماتي، وتعددت مصادر المعلومات في مجال الفكر والأدب، والتربية، وكل الميادين، ومن الجوانب السلبية لمثل هذا التدفق هو تسويق الانحرافات السلوكية، والاخلاقية، مما يؤثر على فئات المجتمع، خاصة الشباب نحو الانحراف عن الاعتدال والوسطية، والانسياق نحو التطرف أو التفريط، وكلاهما انحراف فكري خطير ينبئ بالتشكيك في ثوابت الأمة، وزعزعة المجتمع وقيمه ومعتقداته وتاريخه[١].

يؤثر الإعلام تأثيراً كبيراً في التوجه الفكري، خاصة وسائل الإعلام العالمية، وظهور شبكة الإنترنت، و رغم الإيجابيات الكثيره التي لا يمكن حصرها، فقد جعلت مصادر المعلومات غير متوقفة على الأسرة والمدرسه والمسجد، بل توسعت بشكل كبير مع التدفق التكنولوجي والمعلوماتي

الخاتمة والنتائج:

في الختام يمكن القول : إن تعزيز الأمن الفكري ضرورة لترسيخ قيم أي مجتمع، لا سيما المجتمعات الإسلامية ذات العقيدة الراسخة التي هي عقيدة إلاهية سماوية ، فلابد من تسمية الأمور بمسمياتها والتعمق في فهم ذلك المصطلح لغرض تبنيه وتدعيمه، كما لا بد أن نقف بتأمل وحذر إزاء كل ماهو يتعلق بتحديات وإشكاليات الأمة الإسلامية وهو أمر يقع على عاتق المفكرون الإسلاميين فهم أعلام تلك الامة.

ويمكن أن نذكر باختصار أهم ما توصلنا إليه من خلال البحث :

١- الأمن الفكري والإيمان مترابطان، فلا أمن من غير تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢- الأمن الفكري هو أساس أمن الامة الشامل، فمن غير وجود للأمن والإستقرار لا يتحقق للأمة الإسلامية أي هدف، ولا تستطيع مواجهة أي تحدي يتبرصها ،فهذا الأمن هو من دواعي الإيمان بعقيدتها وشريعتها السمحاء، وفي نفس الوقت تحقيق هذا الأمن الفكري هو ثمرة تمسك الأمة بعقيدتها الإسلامية.

٣- لا يتحقق الأمن الفكري للأمة الإسلامية ؛ ما لم يتحرر اللإنسان من كل انحراف أو تطرف يسيء إلى تلك الأمة وإلى قيمها العريقة، فالابتعاد عن الغلو والتطرف هو سلاح

(١) الشهراني معلوي بن عبد الله، أثر الحراك المعرفي على الأمن الفكري، ص١٥٨، وينظر أيضاً: ابراهيم بن محمد على الفقي، الأمن الفكري المفهوم – التطورات -الإشكالات، ص٢٠، وما بعدها.

المفكر والفكر العربي الإسلامي لمواجهة كل المغالطات الموجهة ضد الإسلام.

٤- الانحراف الفكري يؤثر في الاعتقادات والمفاهيم، ويغير ويبدل في أسس الدين ومبادئه.

٥- هناك تطور ملحوظ وواضح في إشكاليات وتحديات الأمن الفكري للأمة الإسلامية بسبب ما يحاك من مؤامرات ضدها، سواء بنشر روح التفرقة والتباعد بين أبناءها بوسائل عدة منها نشر المفاهيم التي لا تمت بصلة لجوهر الإسلام ، واستغلال التطور في وسائل الإعلام لا سيما مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها لتحقيق أهداف عالمية في استهداف هذه الامة، لذا يقع على عاتق كل مسلم الحذر واليقضة في التوعية من خلال الأسرة والمدارس ووسائل الإعلام باختلاف مسمياتها، توعية بالأفكار الصحيحة السليمة، الأفكار الوسطية المعتدلة، لتوخي الوقوع في فخ التطرف الفكري المجتمعي المؤدي إلى الإرهاب الذي يحقق مآرب الحاقدين على هذه الأمة وشريعتها الإسلامية.

قائمة المصادر:

١. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، ط١، (بيروت: الرسالة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٢. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم، النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي.

٤. ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٥. الزبيدي، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (القاهرة: دار الهداية)، تحقيق مجموعة من المحققين.

٦. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، (بيروت / دمشق: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، ١٤١٠هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

٧. قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، ١٤٢٤هـ)،

المحقق: يحيى حسن مراد.

٨. مفلح الأكلبي ومحمد أحمد، استراتيجية تدريسية مقترحة لغرس قيم الأمن الفكري لدى الطلاب لتحصينهم ضد التطرف والإرهاب، (السعودية: مجلة البحوث الأمنية).

٩. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي.

١٠. إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط (مصر: دار الدعوة) تحقيق: مجمع اللغة العربية.

١١. علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، التعريفات، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

١٢. الوادعي، سعيد مسفر: الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة، عدد ١٨٧، (الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ١٩٩٧م).

١٣. نجاح بني عطا اليمن، أثر برنامج تعليمي قائم على استراتيجيات الحوار والمناقشة في تنمية مفاهيم الأمن الفكري: مجلة الدراسات الاجتماعية، ٢(١).

١٤. إبراهيم بن محمد على الفقي، الأمن الفكري: المفهوم – التطورات- الإشكالات، بحث مقدم للمؤتمر الوطنى الأول للأمن الفكري «المفاهيم والتحديات» في الفترة من ٢٢: ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز للدراسات، الأمن الفكرى بجامعة الملك سعود.

١٥. نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط١، (المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

١٦. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر – دمشق، ١٤١٨هـ).